نفسية دكتاتور

من احاديث اميل لدفج مع

المؤرخ موسوليني

قال لدفج : ... « والجوع . . أهذبك الجوع ؟ » فنظر إليَّ موسوليني وعيناه السوداوان تلمعان وأطبق فكيه القويين كأنهُ يستعيد ذكريات حداثته ، وكأنهُ باستعادته إياها يعيشها ثانية وقال بصوت مختنق : « الجوع مهذب عظيم ، يكابد بساوي السجن . كانت أمي تجني نحو جنيهين من عملها معلمة في احدى المدارس . وكان ابي يجني مايدرّه عليه عمله كحداد وكنا نعيش في غرفتين ، وكنا في النادر نأكل اللحم ، وكانت لنا آمال ومنازعات ومناقشات عنيفة، فلما رمي والدي في غياهب السجن لمساعيه الاشتراكية تقدم صوبي . واحببت أن أخرج الى العالم لأمارس الحياة وأتمرس بها . فتبذت عملي كمعلم ، وتركت والدي في السجن لاني كنت عاجزاً عن إخراجه منهُ وذهبت الى سويسرا لا أملك فلساً لأعمل فيها كعامل بسيط . وكانت آلام والدي لا تغيب عني — ذلك أني تصرفت في المدرسة تصرفاً لا يسرهاء ونشأت ثوريَّ النزعة . فلم يبق أمامي الا أن أصير اشتراكيًّا متطرفاً ، بل بالحري شيوعيًّا . وكنت احمل حي مدالية عليها صورة ماركس حاملاً أنهارقية »

قال لدفج — وماذا تقول اليوم اذا وقع بصرك على تلك الصورة

— أقول ان صاحبها كان ذا بصر نفاذ تقاد تنبعث منهُ شرارة من النبوة . وكنت في ذلك الوقت في سويسرا ، اعمل في معمل شوكولاتا او صبيًّا لبنَّاء احمل لهُ الطوب الى الدور الثاني من البناء ١٢٠ مرة في اليوم . ومع ذلك كنت أحسُّ احساساً مبهماً أن كل هذا انما هو دور مرحلة يعدني للمستقبل

قال لدفج — حتى في السجن

— وبوجه خاص في السجن . هناك يتعلم الانسان الاناة والصبر على متن السفينة وفي السجن لا بد للمسافر والسجين من الصبر . وقد سجنت احدى عشرة مرة في اربعة بلدان . سجنت في برن (عاصمة سويسرا) ولوزان وجنيف (وهما من مدن سويسرا) وتريست (مدينة في النمسا حتى نهاية الحرب الكبرى) وفي بعضها سجنت غير مرة واحدة وكنت في كل مرة أتمتع بقسط من الراحة ولو كنت حرًّا لما استطعت ذلك لان كسب العيش كان يضطرني الى الكدح . ولذلك فأنا لست أحمل ضغينة ضد هذه المدن

قال لدفج : وعندئذٍ انتقلنا الى البحث في الصحافة فسألتهُ هل تعلمت كثيراً من ممارسة الصحافة؟

قال موسوليني : « تعلمت كثيراً » — قالها وفي عينيه بريق ، وفي صوته حرارة وحياة كأنهُ يتذكر أيام هناء وغبطة — أن الصحيفة في نظري كانت السلاح والعلم . وقد دعوتها مرة ولدي الأحب . فقال لدفج — واذا كنت تحسب الصحافة مدرسة طيبة فلماذا تلجمها ؟

قال موسوليني : ان الاحوال اليوم غير ما كانت عليه قبل الحرب . ان الصحف اليوم تخدم المصالح ، دون الافكار — او على الاقل أكثرها يفعل ذلك . فاذا كانت كذلك فكيف يمكن أن تكون ميدان مرانة في أدب النفس للذين ينشئونها

قال لدفج — واذا كنت أنت وقراؤك أصبتم فائدة كبيرة من كتابة صحيفتك ومطالعتها ، أفلا تظن ان المراقبة تنفي على البقية الباقية من الفائدة التي تجنى من النقد الحر

قال موسوليني — هذا وهم : وبحث على مكتبه فأخذ جريدة وقال هذه جريدة نقدت بالامس نقداً لاذعاً أحد القوانين التي استصدرتها ، من قال ان النقد ممنوع ؟ ثم ان حرية الصحافة ستار لكبار اصحاب الصناعة والمتمولين والبنوك الذين يدفعون للصحف مالاً فتكتب ما يريدونهُ هم

وعدنا الى التحدث عن نيوليون . فقلت على الرغم من حديثنا السابق لم أفهم مثلك ، كيف تعتبر نيوليون مثالاً تحتذى ، أو تحذيراً يوجه الى الناس . فجلس مستغرقاً في كرسيه ، وعلت وجههُ كدرة وتكلم بصوت خافت فقال اني احسبه تحذيراً يوجه الى الناس . اني لم اتخذ نيوليون قط مثالاً احتذيه . ان عمله يختلف كل الاختلاف عن عملي . هو ختم ثورة ، وأنا بدأت ثورة

قال لدفج — وما الذي عليه . ان الاساتذة يقولون ان اتكاترا سبب سقوطه

فقال موسوليني — هذا من لغو الكلام . سبب سقوطه التناقض في خلقه . وهو سبب سقوطهم جميعاً . التاج . تأسيس أسرة ملكية . لما بدأت الامبراطورية النابوليونية بدأ الانحلال

لدفج — هل في التاريخ رجل اغتصب السيادة وكان محبوباً ؟

موسوليني — لعلَّ يوليوس قيصر هو ذلك الرجل . ان اغتيال قيصر كان نكبة على الانسانية فهو الرجل الفرد في التاريخ الذي جمع في نفسه ارادة الجندي وعبقرية الحكيم . كان في قرارة نفسه فيلسوفاً ذا نظر شامل . لا ريب في انهُ كان طموحاً تستهويه الشهرة ، ولكن طموحه لم يفتح هوَّة بينهُ وبين الانسانية

لدفج — اذن من المحتمل أن يكون الدكتاتور محبوباً . فأجابهُ موسوليني قد يكون ذلك اذا كانت الجماهير ترهبه في الوقت عينه . الجمهور يحب الاقوياء . الجمهور امرأة . . . . !

لدفج — كيف تفرق بين الثورة التي لها مسوّغ والثورة التي لا مسوغ لها

موسوليني — كل رجل يجب أن يدرك المغزى الادبي للحركة القائم بها ويفرق بين الاثنين

لدفج — ولو نجحت في حركتك الثورية في شوارع ميلان سنة ١٩١٣ أتذكر ما كنت فعلت

موسوليني — حينئذ ؟ الجمهورية ! لدفج — فكيف توفق بين أفكارك القديمة — النزعة الى الجمهورية — ونزعتك الوطنية الآن ؟ موسوليني — ألا يستطيع الجمهوري أن يكون شديد الوطنية كالفاشي ، أو أشد وطنية ؟ ان لنا على ذلك أمثلة كثيرة

لدفج — في الثورة الالمانية كان موظفو الحكومة من النظام القديم أقوى شكيمة وأرجح رأياً من زعماء النظام الجديد ، فخدعوهم . ومع ذلك كيف يبدأ الانسان في انشاء الحكومة . أيبدؤها كما يشرع في نقش تمثال . او كما يبني بيتاً في حرجة فيقطع الاشجار أولاً ليفسح المجال لبناء البيت ؟

موسوليني — تشبيه ظريف — وهنا بدت الحماسة في عينيه وعضلات وجهه — معظم القائمين بالثورات يبدأون بحكومة ثورية ونظام ثوري مائة في المائة . ثم تفتر حماستهم ويضعف نشاطهم فيتهقرون رويداً رويداً في بعض المسائل الى ان تختلط آراؤهم ومذاهبهم فيها بآراء رجال العهد القديم ومذاهبهم . فقال لدفج — وهذا ما تمَّ في المانيا الجمهورية

موسوليني — أما نحن فمكنا الامر . بدأت بحكومة لها برنامج نصف ثوري . واعضاء نصفهم من رجالي ونصفهم من رجال العهد القديم . ولماذا فعلت ذلك ؟ لان التاريخ علمني ان شجاعة معظم الثوار تنفد في المعركة الاولى . لذلك بدأت بحكومة ائتلافية وبعد ستة أشهر تخليت فيها عن ممثلي الحزب الكاثوليكي . اما في البلدان الاخرى فترى الحكومات الجديدة ، التي تتسلم المقاليد بعد انقلاب ما ، تبدأ صارمة ثم تلين . اما نحن فاشتدت صراماتنا مع مضي الزمن علينا ، فلم نطلب من الاساتذة ان يقسموا باعترافهم بالفاشيستية الا من عهد قريب . اما الروسيون فكان في إمكانهم ان يتبعوا خطة اخرى . وجدوا الميدان خالياً فنظفوه من كل ما فيه — او انهم قطعوا اشجار الحرجة قبلما بدأوا في بناء البيت على قولك

لدفج — هل أتيت الى هذا القصر وفي نيتك ان تجلس وراء هذا المكتب عشر سنوات او اكثر ؟ فقال موسوليني — اتيت إلى هنا لأبقى ما استطعت الى البقاء سبيلاً

وقال موسوليني في ذات يوم : الحرية ! وما زلت تعود الى موضوع الحرية أعيد عليك أن الفرد لا تعوزه الحرية في دولتنا . فهو أشد حرية من رجل منعزل لان الدولة تحميه

لدفج — كتبت في سنة ١٩١٩ كلمات بليغة عن الاحتفاظ بمآثر الحضارة الغربية — وجعلت في المقدمة حرية الفرد ، وهي الروح التي لا تعيش بالخبز وحده

موسوليني — لقد حاولنا ان نحقق من هذا كل ما نستطيع تحقيقه

لدفج — وثمة طريقة تمكنك من اقناع العالم بمحاولتك هذه ، اذا كنت انت ، وقد حكمت أربع سنوات في وجه كل معارضة ومثلبة توجه اليك ، تسد الآن ، وقد مضت ثماني سنوات أخرى ، الى اطلاق حرية الصحافة وانزاهة فأجاب موسوليني — أستطيع أن أفعل ذلك . ولكنهُ لا يجدي نفعاً ، انهُ لا يحسن الحال . ان النزاع اليوم يجب ان يوجه الى العوامل المادية في حياتنا